الحافظ ابن كثير

أعـلام الحديـث

الحافظ ابن كثير

هو الإمام الحافظ، المحدث، المؤرخ، عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع القرشي الدمشقي الشافعي.

ولد بقرية " مِجْدَل " من أعمال بصرى، وهي قرية أمه، سنة سبعمائة للهجرة أو بعدها بقليل.

نشأ الحافظ ابن كثير في بيت علم ودين، فأبوه عمر بن حفص بن كثير أخذ عن النواوي والفزاري وكان خطيب قريته، وتوفى أبوه وعمره ثلاث سنوات أو نحوها، وانتقلت الأسرة بعد موت والد ابن كثير إلى دمشق في سنة 707 هـ، وخلف والده أخوه عبد الوهاب، فقد بذل جهدًا كبيرًا في رعاية هذه الأسرة بعد فقدها لوالدها، وعنه يقول الحافظ ابن كثير: " وقد كان لنا شقيقا، وبنا رفيقًا شفوقًا، وقد تأخرت وفاته إلى سنة 750 هـ فاشتغلت على يديه في العلم فيسر الله منه ما تيسر وسهل منه ما تعسر " [1]

شيوخه:

تلقي الحافظ ابن كثير العلم علي يد كثير من الشيوخ منهم

شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية، رحمه الله والحافظ أبو الحجاج يوسف المزي، رحمه الله.

و الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، رحمه الله.

(1) البداية والنهاية، 14/ 32.

و الشيخ أبو العباس أحمد الحجار الشهير بـ " ابن الشحنة "

والشيخ أبو إسحاق إبراهيم الفزاري، رحمه الله والحافظ كمال الدين عبد الوهاب الشهير بـ " ابن قاضي شهبة " والإمام كمال الدين أبو المعالي محمد بن الزملكاني، رحمه الله والإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى الشيباني، رحمه الله والإمام علم الدين محمد القاسم البرزالي، رحمه الله والشيخ شمس الدين أبو نصر محمد الشيرازي، رحمه الله والشيخ شمس الدين محمود الأصبهاني، رحمه الله وعفيف الدين إسحاق بن يحيى الآمدي الأصبهاني، رحمه الله والشيخ بهاء الدين القاسم بن عساكر، رحمه الله وأبو محمد عيسى بن المطعم، رحمه الله وجمال الدين سليمان بن الخطيب، قاضي القضاة ومحمد بن جعفر اللباد، شيخ القراءات وجمال الدين أبو العباس أحمد بن القلانسي، رحمه الله. وغيرهم الكثير.

من تلاميذه:

الحافظ علاء الدين بن حجي الشافعي، رحمه الله ومحمد بن محمد ابن خضر القرشي، رحمه الله وشرف الدين مسعود الأنطاكي النحوي، رحمه الله ، ومحمد بن أبي محمد بن الجزري، شيخ علم القراءات، رحمه الله، وابنه محمد بن إسماعيل بن كثير، رحمه الله، والإمام ابن أبي العز الحنفي، رحمه الله، والحافظ أبو المحاسن الحسَيني، رحمه الله.

ثناء العلماء عليه:

كان ابن كثير، رحمه الله، من أفذاذ العلماء في عصره، أثنى عليه معاصروه ومن بعدهم الثناء الجم:

فقد قال الحافظ الذهبي في طبقات شيوخه: " وسمعت مع الفقيه المفتي المحدِّث، ذى الفضائل، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي.. سمع من ابن الشحنة وابن الزراد وطائفة، له عناية بالرجال والمتون والفقه، خرَّج وناظر وصنف وفسر وتقدم "[1].

وقال عنه أيضًا في المعجم المختص: " الإمام المفتي المحدِّث البارع، فقيه متفنن، محدث متقن، مفسر نقال "[2].

وقال تلميذه الحافظ أبو المحاسن الحسيني: " صاهر شيخنا أبا الحجاج المزي فأكثر، وأفتى ودرس وناظر، وبرع في الفقه والتفسير والنحو وأمعن النظر في الرجال والعلل "[3].

وقال العلامة ابن ناصر الدين: " الشيخ الإمام العلامة الحافظ عماد الدين، ثقة المحدثين، عمدة المؤرخين، علم المفسرين "[4].

وقال ابن تغري بردي: " لازم الاشتغال، ودأب وحصل وكتب وبرع في الفقه والتفسير والفقه والعربية وغير ذلك، وأفتى ودرس إلى أن توفى "[5].

(1) طبقات الحفاظ للذهبي، 4/ 29، أحمد شاكر، عمدة التفسير، 1/ 25.
(2) المعجم المختص للذهبي.
(3) ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ص 58، وعمدة التفسير لأحمد شاكر (1/ 26).
(4) الرد الوافر.
(5) النجوم الزاهرة (11/ 123).

وقال ابن حجر العسقلاني: " كان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع الناس بها بعد وفاته "[1].

وقال ابن حبيب: " إمام روى التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف، وأطرب الأسماع بالفتوى وشنف، وحدث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ، والحديث والتفسير "[2].

وقال العيني: " كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، وسمع وجمع وصنف، ودرس، وحدث، وألف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه رياسة علم التاريخ والحديث والتفسير وله مصنفات عديدة مفيدة "[3].

وقال تلميذه ابن حجي: " أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر شيئا كثيرا من الفقه والتاريخ، قليل النسيان، وكان فقيها جيد الفهم، ويشارك في العربية مشاركة جيدة، ونظم الشعر، وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه "[4].

(1) الدرر الكامنة.
(2) شذرات الذهب لابن العماد (6/ 232).
(3) النجوم الزاهرة (11/ 123).
(4) شذرات الذهب لابن العماد (6/ 232).

وقال الداودي: " أقبل على حفظ المتون، ومعرفة الأسانيد والتعلل والرجال والتاريخ حتى برع في ذلك وهو شاب "[1].

مؤلفاته:

أ - في علوم القرآن:

1- تفسير القرآن العظيم.

2- فضائل القرآن.

ب - في السنة وعلومها:

3- أحاديث الأصول.

4- شرح صحيح البخاري.

5- التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والمجاهيل.

6- اختصار علوم الحديث.

7- جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن.

8- مسند أبي بكر الصديق، ..

9- مسند عمر بن الخطاب، ..

10- الأحكام الصغرى في الحديث.

11- تخريج أحاديث أدلة التنبيه في فقه الشافعية.

12- تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب.

13- مختصر كتاب " المدخل إلى كتاب السنن " للبيهقي.

(1) طبقات المفسرين.

14- جزء في حديث الصور.

15- جزء في الرد على حديث السجل.

16- جزء في الأحاديث الواردة في فضل أيام العشرة من ذي الحجة.

17- جزء في الأحاديث الواردة في قتل الكلاب.

18- جزء في الأحاديث الواردة في كفارة المجلس.

جـ - في الفقه وأصوله:

19- الأحكام الكبرى.

20- كتاب الصيام.

21- أحكام التنبيه.

22- جزء في الصلاة الوسطى.

23- جزء في ميراث الأبوين مع الإخوة.

24- جزء في الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها.

25- جزء في الرد على كتاب الجزية.

26- جزء في فضل يوم عرفة.

27- المقدمات في أصول الفقه.

د - في التاريخ والمناقب:

28- البداية والنهاية.

29- جزء مفرد في فتح القسطنطينية.

30- السيرة النبوية.

31- طبقات الشافعية.

32- الواضح النفيس في مناقب محمد بن إدريس.

33- مناقب ابن تيمية.

34- مقدمة في الأنساب.

وفاته ورثاؤه:

في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة توفي الحافظ ابن كثير بدمشق، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية، رحمه الله.

وقد ذكر ابن ناصر الدين أنه " كانت له جنازة حافلة مشهودة، ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية بمقبرة الصوفية ".

وقد قيل في رثائه، رحمه الله:

لفقدك طلاب العلوم تأسفوا :: وجادوا بدمع لا يبير غزير
ولو مزجوا ماء المدامع بالدما :: لكان قليلا فيك يا بن كثير (1)

(1) مقدمة تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.

* * *